

مِمْر فِى صِحَّةِ الدِّينِ الْمَسِيحِيِّ

Treatise on the Truthfulness of Christianity

www.muhammadanism.org
May 21, 2009
Arabic

ثاودوروس أبوقرة

Theodore Abū Qurrah

Un Traité des Œuvres Arabes
de
Théodore ABOU-KURRA
Evêque de HARAN



Tripoli de Syrie – Rome
1905

تَوَاطُّة

* تعريف المؤلف * إنَّ لثاودوروس ابي قرّة (ويروى ابو قارة) مقاماً رفيعاً بين اللاهوتيين فيعتبرونه كأعظم الكتبة الكنسيين وأبرعهم في المصنّفات الجدلية والأبحاث الدينية بحيث تراهم يتخذونه كحجّة في تنفيذ مزاعم المبتدعين. ومع ما لهذا الكاتب من رفيع الشأن لا نكاد نعرف شيئاً من ترجمته والمرجّح انه عاش في أواخر القرن الثامن للمسيح وفي أوائل التاسع والمرجّح انه عرف القديس يوحناّ الدمشقيّ وممّا لا ريب فيه أنّ ثاودوروس تأثر أعقاب ذاك القديس العظيم والكاتب البارع وجاراه في محاربة البدع كالنسطورية واليعقوبية والمنوتليتيّة يرُدُّ عليها بالبراهين العقليّة والأدلة الوضعية ورُبّما جعل تنفيده على طريقة المباحثة بين الارتدكسيّ والمبتدع فيكون الجواب أرسخ في عقول المؤمنين. ويؤيد قولنا في زمن أبي قرّة أنه أملى بعض مقالاته على توما أسقف أورشليم الذي عاش في أواخر لقرن الثامن وكان جالساً على كرسيّ أورشليم سنة ٨٠٧. وعمّر أبو قرّة إلى عهد المأمون الذي تولّى الأمر في سنة ٨١٣ إلى ٨٣٣ مسيحيّة والدليل على ذلك أن في مكتبة باريس وغيرها نسخاً من جدال دينيّ جرى له في حضرة المأمون وممّا يستفاد من مقدّمة كتاباته أنه كان أسقفاً على حرّان المدينة الشهيرة المجاورة للرّها. وقد نكر البعض ذلك وقالوا إنه كان أسقفاً على «قارة» وهي مدينة في فلسطين في عبر الأردن وقيل أنّ قارة هذه هي المدينة التي في حدود حمص ودمشق. والله أعلم

ومن الأوهام الشائعة في حقّ ثاودوروس أبي قرّة انه كان أسقفاً على بلاد كارية من أعمال ثراقية. والصواب أنّ ثاودوروس أسقف كارية كان بعد ثاودوروس أبي قرّة بنحو مئة سنة وعاش على عهد فوطيوس بطريك القسطنطينيّة وناقضه في عصيانه على الكرسيّ الرسوليّ

أمّا تأليف ثاودوروس أبي قرّة المعروفة سابقاً فعبارة عن ٤٣ مقالة بين قصيرة ومطوّلة أدرجت في أعمال الآباء اليونان لمين في المجلّد ال ٩٧ من الصفحة ١٤٦١ إلى ١٦١٠ وأوّل من نشر هذه الآثار الجليلة الاب اليسوعي الشهير يعقوب غرتسار وترجمها إلى اللاتينية الأبوان توربانوس اليسوعي وجنبررّد البندكتيّ

ولم يتفق الكتبة على اللغة التي صنّف بها ثاودوروس أبو قرّة تأليفه أهي اليونانية أم العربية. والرأي الأرجح أنه كتب في العربية والسريانيّة ثم نُقلت مصنّفاته إلى اليونانية كما يظهر من مقدّمة مقالته الرابعة وفيها يقال أنّ ثاودوروس أملاها بالعربية على توما أسقف أورشليم (ἀπὸ γορευθεῖσι Ἀραβιστὶ) ثم نقلها إلى اليونانية ميخائيل الكاهن سنكلّوس أي قيّم كنيسة أورشليم. وعليه فتكون كتابات ثاودوروس من أقدم آثار النصرانيّة في اللغة العربية. أمّا كونه كتب في السريانيّة فقد بيّنه في إحدى مقالاته غير المطبوعة

وقد قابلنا المقالة التي باشر حضرة الاب الخوري قسطنطين باشا نشرها في المشرق لعننا نجد لها أثراً

بين أعمال ثاودوروس باليونانية فلم نعثر على شيء منها. فتزيد بذلك قيمتها لدى العلماء. ولعلّ النسخة التي وصفها حضرة الاب هي المنقولة عن النسخة الأصلية التي ذكرها السمعاني في المكتبة الشرقية (المجلد الثاني ص ٢٩٢ في الحاشية) وقال إنه أطلعهُ عليها في صيداء السيد افتيمبوس الصيفي أسقف الروم الملكيين الشهير

ل. ش

تعريف الكتاب وناسخه

هذا الميمر في كتاب مخطوط وجدته في مكتبة دير المخلص وقد علّق عليه ناسخه قبل هذا الميمر ما حرفه: «حاشية لكتابه المطران باسيلوس. اعلم ان هذه نسخة ثانية من النسخة التي في دير مار سابا السيق بقرب أورشليم التي هي النسخة الأصلية للكتاب التي كتبت عليها هذه النسخة». ثم: «وكان كتابته في شهر حزيران سنة ١٧٣٥ وذلك في دير المخلص من معاملة صيدا في جبل الدروز»

وجاء في آخر الكتاب: «وكان النجاس من نساخة هذه الميامر نهار الاثنين الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٧٣٥ لتجسد المسيح ربنا». ثم: «كُتِبَ بيد الحقير المطران باسيلوس فينان عن كتاب نُسخته قديمة منسوخة عن النسخة الأصلية التي في دير مار سابا السيق بمعاملة القدس الشريف. ولذلك لمّا وجدنا فيه بعض كلمات ممحّية من عتقه أبقينا موضعها بياضاً لعلنا نجد له نسخة صحيحة كاملة فنكتب ما نقص وبالله التوفيق. وأيضاً تاريخ النسخة التي نقلنا عنها هذا الكتاب سنة ٦٥٥٩ لأبينا آدم (١٠٥١ للمسيح) وهو تعليق الراهب اغابي في دير مار الياس في جبل اللكام فيكون لها يوم نسخنا هذا الكتاب عنها ٦٨٤» ومن ثم يُعرف قدر هذا الكتاب وأنه من الكتب القديمة العهد النادرة بالعربية بل من أقدمها عهداً عند كتّاب النصارى وخصوصاً الملكيين منهم. وأهمُّ من ذلك سلامته من التحريف وعدم تداوله بأيدي النساخ ولا حاجة إلى التنبيه إلى قوة براهينه الوضعيّة والعقلية وغرارة مادّته ووضوح حجّته وصحة قياساته وسلامة عقيدته ورشاقة أساليبه العربية ومتانة تراكيبه ومما يزيد في قيمة الكتاب قدراً عدم وجود نسخة ثانية منه بالعربية ولا باليونانية أو غيرها حتّى يصحّ أن يقال فيه أنه جليل فريد

والكتاب المذكور جمع تسع مقالات طويلة يدعوها ميامر والميمر لفظة سريانية (ܡܝܡܪܐ) معناها الكلام

والرسالة المطوّلة

(الأوّل) يحقق للإنسان حرّية ثابتة من الله في خليقته وان حرية الإنسان لا يدخل عليها القهر من وجه من الوجوه

البتة

(الثاني) يحقق أنه لا يلزم النصارى أن يقولوا ثلاثة آلهة إذ يقولون الاب اله والابن اله وروح القدس اله وان

الاب والابن وروح القدس اله واحد ولو كان كل واحد منهم تاماً على حدته

(الثالث) في موت المسيح. وآنًا إذا قلنا ان المسيح مات عنا إنما نقول ان الابن الأزلي المولود من الاب قبل الدهور هو الذي مات عنا لا في طبيعته الإلهية بل في طبيعته الإنسانية. وكيف يعقل هذا الموت. وأنه يحسن أن يقال على الابن الأزلي في الجهة التي تقوله عليه الأرثوذكسية

(الرابع) في تحقيق الإنجيل وان كلما لا يحققه الإنجيل فهو باطل

(الخامس) على سبيل معرفة الله وتحقيق الابن الأزلي

(السادس) في انه لا يُعفر لأحد خطية إلا بأوجاع المسيح التي حلت به في شأن الناس. وان من لا يؤمن بهذه الأوجاع ويقربها للاب عن ذنوبه فلا مغفرة له أبداً

(السابع) في الرد على من ينكر لله التجسد والحلول فيما أحب أن يحل فيه. (وهو منقطع لنقص النسخة الأصلية التي أكلها العث لقدم عهدها كما أشار الناسخ)

(الثامن) يحقق ان لله ابناً هو عدله في الجوهر ولم يزل معه

وبعد هذا رسالة مطولة وهي «جواب مسألة كتبها إلى صديق له كان يعقوبياً فصار أرثوذكسياً عند رده عليه

الجواب»

ثم يليه هذا الميمر الذي ننشره أولاً في المشرق وهو الأخير

وقد وجدت نسخة من المحاوراة التي جرت بحضرة المأمون بين أبي قرّة وبعض العلماء من العراق والشام لكنها ناقصة من أولها وفيها أغلاط كثيرة أدخلها النساخ لكثرة تداول الأيدي بها. وفي مكتبة باريس يوجد منها أكثر من نسخة

كذلك وجدت نسخة من الميمر الثالث في مجموعة قديمة العهد ترتقي إلى القرن الخامس والعشر في مكتبة دير المخلص لكنه ناقص من أوله أشار إليه جامعه بقوله: «... من قول ثاودوروس أسقف حران المعروف بأبي قارة»

ثم وجدت في مجموعة للمطران افتميمبوس الصيفي رسالة كتبها بخطّ يده المباركة يدعو بها الأساقفة الشرقيين إلى الاتحاد بايمان واحد وترك الانشقاق والانقسام من هذا الميمر نفسه قسماً كبيراً يستشهد به على عدم صحة دعوى الذين ينتحلون النصرانية ظاهراً وهم لا يدينون باطناً بحقيقة دين المسيح إذ يخالفون الخلسكيدونيين أي الملكيين

واما النساخ فقد وجدت عنه في سجل رهبانيتنا الباسيلية المخلصية في كلامه على تلاميذ المطران افتميموس الصيفي الذي أنشأ ديرنا ورهبانيتنا ما يأتي: «الثاني والعشرون الخوري مخائيل فينان من يافا نذر الرهينة وارتسم كاهناً من يد معلمه المطران المذكور سنة ١٧١٧ ثم ارتسم مطراناً على كرسي بانياس من يد ابراهيم ورثبت بطرك الارمن الكاثوليك والمطران الباس الماروني والمطران نعمة اسقف بيروت الروم (١) بامر الأمير حيدر شهاب ودعي باسيلبوس وذلك أول سنة ١٧٢٤ وتسلم رعية

(١) وسبب ذلك انّ البطريرك اثناسيوس الدباس كان قد رجع في ذلك العهد من القسطنطينية عن معتقده الكاثوليكي الذي كان قد أعلنه مراراً فلم يقبل منه الرسامة وفضل عليه الأساقفة المذكورين من الطوائف والطقوس المختلفة وهو الذي جعله بعد ذلك في شك من رسامته

الجيل (لبنان) وير صيدا عدا المدينة لأنها بقيت إلى المطران اغناطيوس المرتسم من البطريرك اثناسيوس المشاق. وإذ شكك المطران باسيليوس في رسامته فيما قعد عرض ذلك إلى رومية فأتاه الجواب بصحة واجازة رسامته مع البركة. وخدم الرعية بكل حرية وكان رجلاً شهماً بطلاً وماهراً في صناعة الموسيقى اليونانية أي البسلطيكاً. ورَبَّى ثلاثة تلاميذ ماهرين بها وهم القس يواكيم ربع مدّ من قرية برثه والقس نعمة فرحات منها والقس يوسف فرحات من مزرعة دير المخلص (وهذا الذي رسمه أسقفاً على زحلة البطريرك ثاوضوسيوس الدهان في ٢٩ ت ٢ سنة ١٧٧٣) وتوفي في دير المخلص ودفن في هيكل القديس انطونيوس البدواني أمام المذبح تحت الدرجة التي يقف عليها الكاهن وقت القداس في ١٣ شباط سنة ١٧٧٢

ويؤخذ منه في غير هذا المحل انه كان من الأساقفة الوطنيين الذين انتخبوا للبطريركية الانطاكية القس سرافيم طاناس (١) ورسموه في دمشق في الكنيسة المريمية في ٢٠ ايلول سنة ١٧٢٤ قبل أن رسم البطريرك القسطنطيني في ٢٨ في القسطنطينية الشماس سلفستروس القبرصي الأجنبي وأرسله إلى دمشق بطريركاً بل قل أجيراً ودخيلاً وكان مقيماً في دير المخلص مؤازراً للبطريرك المذكور. وكان هو الراسم للرهبان. وكان في عداد الأساقفة في مجمع دير المخلص الأول الذي عقده البطريرك المذكور في اتحاد الرهبانية المخلصية والشورية سنة ١٧٣١ وكان كذلك في المجمع الثاني الذي عقده البطريرك المذكور سنة ١٧٥١



(١) من هنا يُعلم أن سرافيم طاناس كان قساً لماً انتخب للبطريركية لا مطراناً كما روى ذلك القس مخائيل بريك في حكاية خرافية عن رسامته مطراناً لقيسارية الكبادوك

بسم الآب والابن وروح القدس الإله الواحد

ميمر في تحقيق ناموس موسى المقدس والأنبياء الذين تنبأوا على المسيح والإنجيل الطاهر الذي نقله إلى الأمم تلاميذ المسيح المولود من مريم العذراء وتحقيق الارثوذكسية التي ينسبها الناس إلى الخلكيدونية وإبطال كل ملة تنتحل النصرانية سوى هذه الملة وضعه المعلم العامل والفيلسوف الكامل والاب الفاضل كير ثاودوروس أسقف حرّان

١

ان الله ترآى لموسى في طور سينا (سفر الخروج ف ٢ و ٣) فانتخبه ان يشترع ديناً لبني إسرائيل وأمره أن يشخص إلى فرعون ملك مصر وان ينقذهم من يديه وان موسى استعفى الله من البعثة متعللاً وتأتى عليه الخوف استعظماً للأمر الذي أراد افراذه له. وقال لله: من انا حتى آتى فرعون واخلىص أمتك من يديه. فقال له الله: أنا أساعدك وأشدّد كلامك. ولكن انطلق حتى تجمع مشيخة بني إسرائيل فتقول لهم: انّ الرب اله ابائكم أرسلني. اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب بعثني إليكم. فقال موسى: لو قد أتيت بني إسرائيل فقلت لهم انّ إله ابائكم أرسلني إليكم فقالوا لي ما اسمه ماذا أقول لهم؟ فقال له الله: قل لهم الذي لم يزل بعثني إليكم. وقال الله: أنا الذي لم أزل وأنا إله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب. ثم قال موسى لله: عدّ اني اتيتهم فانباتهم بهذا القول عنك فانهم يقولون لي انك مُبطل لم يترآى (كذا) الله لك فماذا أقول لهم؟ حينئذ قال له: ايّ شيء هذا الذي بيدك؟ فقال له موسى: عصاً. فقال الله له: ارم بها على الأرض فرمى بها على الأرض فتحوّلت ثعباناً فراعت موسى وجعل يفرّ منها. فقال الله له: تناوله بذنبه. فتناوله بالذنب فعاد الثعبان عصاً. ثم قال له الله: أدخل يدك في رُدنك. فأدخلها فإذا هي قد برصت برصاً يققاً ناصعاً كالثلج. فقال له الله: أعدّها إلى رذنك. فردّها ثم أخرجها فإذا هي قد رجعت إلى لون بشرته. وقال له الله: ان آمن بني إسرائيل بالآية الأولى كان به والا آمنوا بالآية الثانية وان لم يؤمنوا

بالآية الثانية فانشف من ماء النهر (١) وأهرقه على الأرض فإنه سيتحوّل دماً ليؤمنوا ان الله إله آبائهم بعثك إليهم .
فلما أعطاه قوّة الأعاجيب رضي بالعسر أن ينبعث إلى مصر

فمن هنا يستدلُّ أولو الألباب ان الدين لا ينبغي لمن كان محتاطاً في النظر فيه ان يقبله من واضعه الاّ بالأعاجيب لأن موسى قد كان يعلم انه لو ذهب يدّعي ان الله بعثه ليشتري ديناً بلا برهان يأتي به على نفسه من أعاجيب يعملها لا يقدر أحد أن يعمل مثلها الاّ من أيّده الله قد كان سبيل لكل ذي عقل ان يزيه (٢) وان يردّ عليه قوله ويحقره ويصدّ عنه . لكنّه علم انه إذا كان مُدلىّ بقوّة الأعاجيب فقد اتخذ أدراة قويّة يرمي بها من كان ذا نية يرتاد لنفسه خيراً ويقوده إلى الدخول فيما يضع له من عبادة الله . وكذلك ينبغي لكل ذي لبّ الاّ يقبل ديناً ليس أساسه على الأعاجيب الإلهية التي هي برهان على تحقيق الآتي به انه من الله . فمن قبل الدين على غير هذا الأساس فقد فرط وتترك الحزم في الأمر الذي لم يُخلق الحزم في الإنسان الاّ له وبذل نفسه للتلف واسترخى لمن يجتذبه إلى الهلاك ويختلجه عن السبيل المؤدي إلى السعادة التي إليها وحدها تنوق العقول

فمن قبل الدين الذي أتى به موسى فقد رُشد لأنّ موسى إنّما حقّق نبوته ورسالته من الله بعمل الأعاجيب التي لا تُصنع الاّ بقوّة الله . وحيث أتى الذين قبلوه بالغيب وقصّ عليهم كيف خلق الله السماء والأرض وانبأهم بما كان قبلهم ممّا لم تكن تدركه عقولهم فقد احسنوا حيث الزموا نفوسهم القنوع به وتصديقهُ . لأنّ الله لن يقوي على عمل الأعاجيب الاّ من كان ساعياً في موافقته ويدعو إلى رشده وهداه

وكذلك المسيح إلهنا الحكمة الحقّ لم يبدأ بشيء من التعليم حتى أظهر قوّته الإلهية بالأعاجيب وقرب إليه من كان مبتلى في أنواع الأسقام والأمراض المؤلمة المعذّبة فشفاهم واسعدهم بالبرء الكامل . فلما كان ذلك منه دنت إليه الجموع من الجليل واورشليم وكور الأردن . فلما رأى الجموع حوله دعا تلاميذه إليه ففتح فاه وعلمهم وقال: طوبى للمساكين بالروح فإن ملكوت السماء لهم . ثم تلا عليهم تعليمه واشترع

(١) نشف الماء من الغدير استنقاه

(٢) زيره باللغة انتهره . و«قد» رابطة جواب لو . وهي كثيرة في كلامه

لهم ناموسه الأول فأول. وأخذ بشكل موسى. ولم يزل يخلط عجباً بناموس وناموساً بعجب حتى قضى تدبيره كله وُصِّل ودُفن وقام لليوم الثالث. فمن اتبع المسيح لعجائبه التي لا تُحصى فقد رُشد وقويت حجته كما قويت حجة الذين قبلوا موسى لِمَا عمل من الأعاجيب

وإذا قرنت الأمرين كان هذا الآخر أقوى من الأول. وان كان كلاهما قويين لأن أعاجيب المسيح لا تحصى ولا تُعدّ ولم يقتصر على ما هو عمل من الأعاجيب مباشرة بل أعطى تلاميذه سلطاناً ان يعملوها باسمه. فامّا موسى فإنه عمل أعاجيب معدودة وكان يعملها لا بقوة نفسه ولكن بقوة الله وأمره أو بالابتهاال له ولم يدعُ موسى أحداً قط فقال له: انطلق فاعمل الأعاجيب باسمي. وبحقّ كان كل ما قد كان من المسيح ومن موسى وذلك ان المسيح إله وابن إله وكان قادراً أن يعمل بقوة نفسه الأعاجيب وان يقوي من أحب على أن يعمل مثلها باسمه. فامّا موسى فإنما كان عبداً مأموراً وكانت قوته على عمل الأعاجيب ليست لنفسه وإنما كانت لله. فلذلك لم يكن يعمل عجباً حتى يُوعز إليه من الله أن يعملهُ أو يبتهل إليه فيأذن له في عمله. وكما أن موسى كان يعمل الأعاجيب بقوة الله وأمره والابتهاال إليه كذلك كان تلاميذ المسيح يعملون الأعاجيب لا باسم الله لكن باسم المسيح وقوته وأمره والابتهاال إليه. والتلاميذ في عمل الأعاجيب أقوى من موسى كثيراً لأنّ موسى إنّما كان يوعز إليه أو يبتهل قبل أن يعمل العجب امّا التلاميذ فان أكثر أعاجيبهم كانت بلا تضرّع. ولم يكن أكثر من أن يقولوا «باسم المسيح ليقيم هذا الميت» أو «ليفتح هذا الأعمى عينيه» أو «ليصح هذا المقعد» فكان يكون كما يقولون. ولم يقفوا عند ذلك فقط حتى ان مار بطرس كان يمشي فكان حيثما بلغ ظلُّه لم يكن يسقط ظلُّه على مريض الاّ شفاهُ (أعمال ٥ : ١٥) ومار بولس قد كان توخذ لفافته فتوضع على المرضى فيأتيهم البرء (أعمال ١٩ : ١١ و ١٢)

وبهؤلاء التلاميذ تحقق كلام داود حيث يقول: «ان الرب يعطي المبشرين كلمة بالقوة الكثيرة» (المزمور ٦٧ : ١٢). فليس لليهود من الحجّة في قبولهم موسى الاّ دون ما للأمم في قبول المسيح لأنّ الأمر هنا أعظم منه هناك كما أن ضوء الشمس أعظم من ضوء السراج. وقد كانت الأمم تقتصر على ما عاينوا من الأعاجيب التي عملها تلاميذ المسيح باسم المسيح وكان ذلك حسبها داعية إلى قبول المسيح والايان بكل ما

قال هو وتلاميذه عنه. هذا ولو لم يكن ناموس موسى والأنبياء تنبأوا عليه لأنه كما أن موسى حيث أتى بني إسرائيل صدقوه وقبلوا ما حكى لهم عن الله لما صنع بين أيديهم من تلك الأعاجيب. وان كان لم يكن أحد ممن كان قبل موسى تنبأ على مجيء موسى ولم يلزمه بنو إسرائيل أن يحقق نفسه بعد الأعاجيب بنبوة من كان قبله عليه كذلك الأمم قد كان بسعيهم أن يؤمنوا بالمسيح ويصدقوه لما صنع من الأعاجيب التي لا تحصى التي عملها هو وتلاميذه ولو لم يكن موسى والأنبياء تنبأوا عليه. فكم ينبغي أن نقبل المسيح أكثر مما قبل موسى لشرف ما قد سبق أيضاً من نبوة موسى والأنبياء كلهم عليه وعلى تدبيره كله من الصلب (اش ٦٥: ٢) والظعن (زكر ١٢: ١٠) وتسمير اليدين والرجلين والاقتراع على ثيابه (مز ٢١: ١٧ - ١٩) والبصق في وجهه (اش ٥٠: ٦) وجلد ظهره (مز ٧٢: ١٤) وأنه بجراحه يفدي الناس من خطاياهم ويداوي أمراض ذنوبهم (اش ٥٣: ٥) وأنه سقي خلاً وأطعم مرّاً (مز ٦٨: ٢٢) ومواضع ما قد ذكرنا معروفة في الأنبياء

والعجب منك يا يهودي حيث تكون قد قبلت موسى لأعاجيبه المعدودة ولا تقبل المسيح بأعاجيبه التي لا تحصى ولا تعد. وهذا لو أنك عدل قد كان واجباً عليك ان تقبله ولو لم يكن موسى والأنبياء تنبأوا عليه كما قبلت موسى بأعاجيبه ولم تكلفه أن يحقق نفسه مع ذلك بنبوة من كان قبله عليه. ولو ان موسى كان أمرك الأتقبل نبياً بعده كما أمر المسيح النصراني قد كنت لعمرى معذوراً حيث تشكك بالمسيح ولكن موسى لم يزل في ناموسه الظاهر يرجيك نبياً يأتي من بعده (تث ١٨: ١٥ و ١٨) ويأمرك عزيمة بالسمع والطاعة له في كل ما أمرك به. ويندرك الموت ان أنت عصيت هذا النبي ويقول ان هذا النبي مثله واضع الناموس وعهداً جديداً. وقد كان ينبغي من هذا القول أن تبطل الأنبياء كلهم ما خلا هذا الواحد الذي أمرت بطاعته كائناً من كان. وقد أخبرك موسى أن يعقوب تنبأ لك انها لا تفنى منك النبوة حتى يأتيك المسيح الذي هو رجاء الأمم (تك ٤٩: ١٠). وبهذا حقق الأنبياء كلهم الذين قبل المسيح. ثم خص هذا الواحد وأمر بطاعته مراراً عن قول الله فكان ما سبق من أخبار موسى اياك بمجيء هذا النبي الذي هو واضع عهداً ينبغي الأ يحبسك طرفه عين عن قبول المسيح والايمان به حيث عمل هذه الأعاجيب. وكان يحق عليك أن تتدبر بعقلك فتقول

ان النبي الذي أمرني موسى بطاعته هو هذا إذ كان يعمل الأعاجيب التي لا تحصى ولم يعمل موسى مثلها التي لو أن موسى أوقف أمره فلم يأمر بطاعته ولم ينه عنها قد كانت توجب له عليّ من العدل أن أقبله بها وحدها ولا أكلفه أن يحقق نفسه بنبوة من كان قبله عليه كما قبلت موسى

كذلك اعلم يا يهودي أن هذا النبي هو واضح الناموس وعهداً جديداً ولذلك خصّه بأن أوعز إليك بطاعته وردّد ذلك عليك. فاسمع إلى قول الله في ارميا النبي: أنّها ستأتي أيام يقول الرب اني أشرتخ لبني إسرائيل وليبيت يهوذا عهداً جديداً لا كالعهد الذي اشترعت لهم إذ أخرجتهم من أرض مصر (ار ٣١: ٣١). وقال داود للرب: أقم لهم يا رب واضح ناموس لتعلم الأمم انها أناس (مز ٩: ١١)

فإن قلت يا يهودي: ان أسلافي الذين ظهر هذا الذي يسمونه المسيح فيهم وفي أيّامهم قد تلفوا وانا لست أعلم انه عمل عجباً. قلنا لك: ان بيان ذلك قريب منك إذا حسنت نيّتك في خلاص نفسك. وبنبغي لك أن تعلم أن المسيح قد عمل هذه الأعاجيب التي ذكرنا من قبول الأمم إياه وحمله إياهم على كل ما يخالف عقولهم وأهواءهم وشهواتهم ونقله إياهم من رضاء إلى شدة ومن همل إلى حصر ومن سعة إلى ضيق ومن الرخص إلى التشديد ومن الشهوات المباحة التي كانت لهم إلى هجران الدنيا بأسرها في شأنه ورفض لذات الجسد وفخر الدنيا وأن يقدموا على القتل أنفسهم بكل نوع من العذاب والمكاره على ألا يكفروا به. وقال لهم: من كفر بي بين أيدي الناس كفرت أنا به بين أيدي أبي الذي في السموات. وقال: انظروا ما قلته لكم في السر فأعلنوه أنتم على الأجاجير ولا تخافوا من يقتل البدن ولا يستطيع أن يقتل النفس ولكن خافوا من يستطيع أن يقتل النفس والبدن جميعاً ويلقيهما في نار جهنم. وقال: من أهلك نفسه في شأني وجدها في حياة الأبد. وقال: من اتبعني ولم يبغض أباه وأمه وأخوته وأخواته وولده وأنسابه فليس لي بأهل. وقال: اني مخليكم كالخراف بين الذئاب. وان الدنيا تكون في سرور وأنتم في حزن. وأنّها ستأتي أيام من يقتلكم يرى أنه يقرب لله ذبيحة

واشرتخ عليهم أن يباشروا هم قتل أنفسهم في المثل بقطع شهواتهم واستئصال أهوائهم. وقال. من لطمك على خدك فحوّل له الآخر. ومن سلبك رداءك فردّه ثوبك.

وإن أنت نظرت إلى امرأة كي تشتهيها فقد زنت بها في قلبك. وإن قلت لصاحبك راقاً أو أحق فقد وجبت عليك نار جهنم. وقال: سمعت أنه قيل للأولين أحب مُحَبَّك وابعض عدوك فأتنا أقول احبوا أعداءكم واحسنوا الدعاء لهم. وما شاكل ذلك

فاخبرني يا يهودي كيف تظن ان الأمم قبلت المسيح على هذه الشدة والموت الذي قد اشترعه عليهم ولا سيما مع شنع ما نسبته إلى نفسه من الصلب والأوجاع والفضيحة. وان أعداءه شتموه وسَمَّروا يديه ورجليه وعلَّقوه على خشبة وسقوه خلاً وأطعموه مرّاً حتى رشح منه عرق خاتر كالدم. وأنه قال وهو على الصليب: إلهي إلهي لم خذلتني. فإن هذا الأمر ينبغي أن ينقُر السامعين كلهم من اتباع المسيح ومن اتخاذهم الإله كما قد اتخذته الأمم كلها. وهذا معروف انه لم يكن يُقبل أبداً لولا أن هذه الأعاجيب المذكورة في الإنجيل وفي كتب التلاميذ قد عملت حقاً. وهي التي كانت تقهر العقول وتضطرها إلى قبول المسيح والايمان به لا محالة

ولو ان المسيح كانت همته الغرور لكان ينبغي له ولو كان لقي هذه الأمور التي ذكرنا أن يأمر تلاميذه بكنماتها الأمم وأن يعظموه عندهم ويحملوا أمره. وكان قوله أن يطعمهم في الرخص والشهوات ليكون ذلك يدعوهم إلى المسارعة إليه. ولكن لم يفعل هذا وحاشا له ذلك. بل شنع نفسه عند من دعاهم إلى الايمان به وكلفهم القتل والموت في شأنه

أوليس هذا عجيباً. ان موسى دعا الله فعظم الله وقال: «ان الله خلق السماء والأرض وأنه فوق السموات» وأتى ذلك من تمجيد الله واجلاله في كل نحو. وبدأ يخلص بني إسرائيل بأن فكهم من عبودية فرعون وشق لهم البحر واحدر لهم المن والسلوى. وفجر لهم الماء من الصخور. وقتل لهم الأمم. وقال لهم ان الله سيقويكم فتقتلون أمم الشام وتستحذون على بلادهم وترثونها. واشترع ناموساً ممتلئاً رخصاً وفي كل ذلك لم يتبعه أحد من الأمم ولا قنع بنو إسرائيل بقوله ولا آمنوا بالله بل نزل على طور سينا فارتعد الجبل تحتته ودخن وادخل الروح في قلوب بني إسرائيل من منظره فلم يلبثوا حتى عبدوا العجل وهم تحت طور سينا. وتلاميذ المسيح خرجوا فشنعوا عندهم على المسيح بهذه الأوجاع التي ذكرنا والصلب والكلام الذي يُظن أنه وهن وكلفوهم هذه الشدة التي اشترعها المسيح عليهم فأجابهم الخلق. ومن لا يعلم أن هذا

لم يكن إلا من شرف الأعاجيب التي كانوا يعملونها باسم المسيح التي هي أرفع من أعاجيب موسى كما أن السماء أرفع من الأرض

ولا تستطيع أن تقول يا يهودي ان الأمم إنما اتبعت المسيح تعصباً لقرابة كانت بينهم وبينه. فهذا عليك أنت ولقد كان الإنسان جديراً أن يولج هذه التهمة عليك بأنك اتبعت موسى تعصباً له لأنه كان منك ولتشرف بدولته وتعتز بملكه الذي أعطاه الله. فأمّا الأمم فإنه لا سبيل لشيء من هذه التهمة أن تدخل عليهم في اتباعهم المسيح لأن التلاميذ الذين دعواهم كانوا من اليهود وإنما دعواهم إلى من كان في ظاهر أمره من اليهود وكان ينبغي أن يدعواهم ذلك إلى الاقشعرار والنفار منه لأن اليهود كانوا أعداء الأمم كلها ولم يشوبوا في دعوتهم طمعاً ولا شرفاً ولا عزاً بل خلاف ذلك كله. إذاً أعلم يا يهودي ان هذه الأمم كلها لم تتخذ المسيح إلهاً ولم تدن له بهذه الطاعة التي تبلغ مهج النفوس في كل يوم إلا بهذه الأعاجيب التي ذكرنا ان التلاميذ عملوها بين أيديهم باسم المسيح

ولعلك تقول ان هذه الأمم اتبعت المسيح بالجهل. فان كان هذا كذلك عندك فاحمل ان كنت صادقاً هذا الكلام الشنيع الذي يقال في المسيح وهذه الشرائع التي فرضها واذهب أقنع بها ولو رجلاً واحداً من الجهال ولكن لست تقدر على هذا بل الجهال أشد نفاراً من قبول هذا الأمر من غيرهم لأن الجاهل إنما همته شهوته كالبهيمة. وأقرب الكلام الذي يشربه عقل الجاهل ما كان مموّهاً سوقياً. ولقد كان دينك يا هذا أولى أن يقبله الجاهل من دين النصرى لما في دينك ممّا ذكرنا من تعظيم الله واجلاله جهاراً والأرعب منه ولما فيه من الرخص والطمع في الملك والعزّ والعسل واللبن وتزويج النساء الكثيرة والطلاق متى شئت واستذلال الأمم وانك سئمت كما زعمت على رقابهم ويكونون لك عبيداً وبناتهم اماءً وانك ستبني لك مدينةً وهيكلًا بالزمرّد والياقوت. هذا إلى مثله يغرّ الجهال وفي مثله يطمعون. ولو خرج أحد يدعو إلى هذا ويضمنه للناس لما كان عجباً أن يتبعه الناس ولا سيّما إذا هبت له أدنى ريح من دولة يُعطاها كما قد رأيناها يكون

وان قلت يا صاح ان هذه الأمم التي اتبعت المسيح إنما كانوا حكماء فحكمتهم هي التي دعتهم إلى اتباعه. فإنه ينبغي لك أن تكون تبعاً لهم إذ نسبتهم إلى الحكمة

مع ان هذا الأمر الشنيع الذي يوصف به المسيح ويُنسب إليه لا يقبله حكيم من حكماء الدنيا وقد يفوق عقول الناس كلهم حتى تفيض عليها نعمة روح القدس فتقنعها ان المسيح إله كما قال مار بولس انه ليس أحد يقدر أن يقول ان المسيح رب الأبروح القدس. وان لم تصدق بهذا فاحمل دعوة المسيح إلى كل حكيم من حكماء الدنيا وأقع بها ولو واحداً منهم. ولكن لا تستطيع لأن حكمة الدنيا إنما همتها فخر الدنيا وألاً تصدق ما خالف حدود الكيان التي غاصت عليها دون عقل العامة والتجمل بصفافة الكلام والغرور بحلاوة الكلام. ودعوة المسيح خلاف لهذا كله. ولكن الأمر كما قال بولس انه بحكمة الله لم يعرف العالم الله بالحكمة فاحب الله أن يجتبي من الذين يؤمنون بحمق الدعوة (١ كور ١ : ٢٨)

وان قلت ان الذين اتبعوا المسيح كانوا في عقولهم أوساطاً فقد تقول ما لا يكون لأن أوساط العقول غايتها الحزم في أمور الدنيا الظاهرة وألاً يقبلوا الأَشْكِيلَ لما قد اختبروه قديماً ممَّا أدت إليه التجارب والحواش. ودعوة المسيح لا يمكن أن يُبشَّرَ بها هذه العقول بل هي تشمئز منها وتستجفها جداً

فمن حيث قبلت الأشياء التي ذكرنا كنت مضطراً أن تعرف لا محالة ان المسيح لم تقبله هذه الأمم التي هي خمسة أسداس الناس (١ الأ بما رأوا من هذه الأعاجيب المذكورة في الإنجيل وكتب التلاميذ بقوة الروح القدس التي دبَّت في عقولهم خفياً فاقنعَتْها ان المسيح اله وابن اله كما قال عن نفسه وان كان قد لقي من الأوجاع والصلب ما يقال فيه. وانه لم يلقَ هذه الأوجاع عجزاً ولا عبثاً بل لسبب مستقيم وان كان ذلك يخفى عن من لم يلمع قلبه بروح القدس. وهذا الأمر الذي ذكرنا يحقق لا محالة ان الأمم لم تقبل المسيح الأ بهذه الأعاجيب المذكورة في الإنجيل وفي كتب التلاميذ. وذلك يضطرُّ عقلك إلى أن تؤمن وتقرَّ بهذه الأعاجيب كأنك قد رأيتها وعايبتها. وهذه الأعاجيب اقنعت ان المسيح إله وابن اله كما قال عن نفسه. والمسيح والتلاميذ شهدوا على موسى والأنبياء كلهم انهم أنبياء وحققوهم. وبشهادة المسيح وتلاميذه يحقق موسى والأنبياء اليوم عند ذي العقل أنَّهم كانوا مرسلين من الله

(١) هذا شاهد جميل على امتداد النصرانية في القرن التاسع على عهد أبي قرة

وأما أنت يا يهودي فانك لو كُلفت اليوم أن تأتي بسبيل عقل يحقق به عند أحد الناس موسى أو واحداً من الأنبياء لما قدرت على ذلك. ولقد مكث ناموس موسى والأنبياء نحو أكثر من ألف وخمسمائة سنة لم يقدر أن يقنع بذلك أحداً من الأمم انه من الله. ولا آباؤك أقاموا على الناموس أو على عبادة الله. ولما جاء المسيح أقنع الأمم كلها بأعاجيبه وحقق عندهم موسى والأنبياء وصار المسيح في وجهه كاروز أولئك. وبحق فعل ذلك المسيح وما كان أولاده به. لأنه هو الذي بعثهم وأمرهم أن يتنبأوا عليه وان يصوروه لثلا تنكره العقول. إذا ظهر ماشياً على الأرض. ولذلك قدم ميخا النبي فتنبأ عليه فقال: «اسمعوا يا جميع الأمم وانصتوا يا كل الشعوب وليكن الرب عليكم شهيداً فان الرب يخرج من موضعه وينزل حتى يسطأ على الأرض. هذا في شأن خطيئته يعقوب وفي سبب ذنوب إسرائيل» (ميخا ١: ٢ - ٥). واربميا قال فيه أيضاً: «هذا إلهنا لا يُعدُّ معه اخر الذي وجد طريق المعرفة وأعطاه يعقوب حبيبه وإسرائيل خليله. ومن بعد ذلك تراءى وبين الناس تقلب (باروك ٣: ٣٧ - ٣٨). وموسى إنما قال له الله أن يجعل هرون كاهناً ويقرب الذبائح على حذو ما أراه الله في الجبل (خروج ٢٥: ٤٠). ومن ههنا اعلمك ان هنا كاهناً اخر غير هرون هرون صورته. وذبيحة أخرى غير تلك الذبائح تلك الذبائح صورتها. فجاء داود وفسر لك ذلك الكاهن الذي هرون صورته واخبرك انه رب جلس على الكرسي عن يمين الله وانه ابن مولود من الله قبل كل الدهور حيث قال: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك. وقال الله لهذا: اني من البطن قبل النور ولدتك. وقال له: أنت الكاهن إلى الأبد على شكل ملكسذق (مز ١٠٩: ١ - ٤). وقال اشعيا وفسر لك تلك الذبيحة التي ذبيحتك صورة لها وقال ان المسيح يقول عن نفسه: اني لست أعصى وامتري. اعطيت ظهري للسياط وخطي للطم ولم أرد وجهي عن فضيحة البصاق (اش ٥٠: ٦). وقال فيه اشعيا: انه ليس له منظر ولا جمال. فرأيناه فلم يكن له منظر ولا جمال بل منظره حقير منظره دون مناظر الناس. هو إنسان مجروح يعرف أن يحتمل الأمراض. كان حقيراً لا يُعدُّ فهو يحتمل أمراضنا وفي شأننا توجع ونحن حسبناه في نصب مجروحاً من الله مبتلي وهو انما جرح في شأن معاصينا وعرضت له المصائب في شأن خطايانا. ادب سلامنا عليه وبجراحه تداوينا. ضل كلنا كالمواشي وضل كل واحد منا سبيله. والرب أسلمه في شأن خطايانا. لم يفتح فاه إذ ابتلي.

كالشاة للذبيحة ساقوه وكالخروف أمام الجزار كان ساكتاً كذلك لم يفتح فاه بتواضعه (اش ٥٣ : ١ - ٧)

هذا يا يهودي يدلُّك ان كان لك عقل ان هرون كاهنك كان صورةً لهذا الكاهن وذبيحتك كانت صورة لهذه الذبيحة. لأنه لو كان كاهنك هو الذي كان يستغفر الذنوب للناس وذبيحتك كانت بها تُغفر الذنوب لقد كان هذا الكاهن الذي ذكره داود وهذه الذبيحة التي ذكرها اشعيا عبثاً جعلها الله وكان موسى باطلاً اخبرك ان الذي في يدك صورة. وجاء داود واشعيا وفسراً لك تلك الصورة. لكنك لم تعقلها في زمانها كما قال لك موسى: انك قد رأيت ما صنع الله بين يديك فلم يُعْطِكُم الله عيوناً تبصرون بها ولا اذاناً تسمعون بها ولا قلوباً تفهمون بها (تث ٢٩ : ٤). فلو ان الأشياء التي رأيت يا يهودي لم تكن صورة لغيرها ولم تكن تعني بها غيرها كيف كان يجوز لموسى أن يقول لك انك قد رأيت ما صنع الله بين يديك فلم يعطكم الله عيوناً تبصرون بها ولا آذاناً تسمعون بها ولا قلوباً تفهمون بها. ولكن هذا الأمر يدلُّك انه إنما كانت بيدك صورةً وأمرأ يُعْنَى به غيره. وقال داود محققاً ذلك لك: ان آباءنا لم يفهموا بمصر أعاجيبك (مز ١٠٥ : ٧). فحسبك هذا يا يهودي ان كنت ذا لبٍّ أو تلتمس اكتساب الخير لنفسك فقد أتاك الشفاء وكان أتاك من قبل لو قبلته من معلمي النصرانية الذين نطقوا بروح القدس وأوضحوا أمر المسيح كلُّه من العقل والكتاب جميعاً. فهذا تثبيت النصرانية بالاضطرار الذي لا محيص عنه لكل ذي عقل ونية. فالعقل يقود إلى المسيح لا محالة والمسيح يحقق موسى والأنبياء فلنا العتيقة والحديثة كما قال سليمان بن داود في تسبحة التسابيح (٧ : ١٣): ان على أبوابنا كل الثمرات العتيقة والحديثة

٢

لكن أي شيء ننتفع به معشر النصارى إلا ملَّة الخلكيدونيين دون النسطوريين واليعقوبيين واللوليبانيين (١) (والموثليين) وغيرهم من الاراسيس الذين ينتحلون

(١) كذا في الأصل ولعلَّه يريد اليونانيين وهم قومٌ تابعوا يوليان الأسقف الذي مرق من الايمان متحرِّباً لبدعة پيلاجيوس في القرن الخامس. أو تكون تصحيف «بولينيين» نسبة إلى بولس السميساطي المبتدع

النصرانيّة لأن كل واحد من هؤلاء الذين ذكرنا يرى أن سعينا في تثبيت النصرانيّة إنما هو له لأنه زعم أنه النصرانيّ الحقّ

وقد يحق علينا كما أثبتنا النصرانيّة من كل دينٍ وحققنا أنّها هي الدين الحقّ وحدها ان فصل الارثوذكسيّة من هذه الاراسيس ونحقق انها هي النصرانيّة وحدها وان كل تلك الاراسيس باطل. وقد أثبتنا هذا بعون روح القدس قديماً في سبيل الدراس اللطيف عند كل من كان لطيف العقل يقدر أن يغوص على الأمور الغامضة التي تغيب عن العوام ولكن سبيل الدراس اللطيف ليس فيه قنوع للعامّة من السوقيين والاكّارين واشباههم. وقليلاً ما يصل إليهم الشفاء بذلك الوجه. من أجل ذلك ينبغي أن نشترع منهاجاً آخر نيراً ومحجة واضحة يقدر أن يسلكها الفقيه والعرض من الناس والفيلسوف والسوقي فنحقق بذلك الارثوذكسيّة ونبدي نورها كنور الشمس لا يخفى على صغير ولا كبير حتى لا يكون لأحد علة في التخلّف عنها. وتكون الحجة لازمة لمن اغتبط بالطغيان الذي هو عليه من الاراسيس ويكون ذلك مسروراً لأهل الارثوذكسيّة في توفيق روح القدس. إيّاهم لصواب الايمان واستقامة الدين ونشحذهم على أن يجمعوا مع الايمان البر وحسن العمل لكيلا يخيبوا من منفعتيه فتكون كينونته بايديهم وبالآ عليهم أن عطّلوا ما ينوبهم من العمل بطاعة المسيح

فما هذا الطريق الواضح ليت شعري الذي تُحقّقه الارثوذكسيّة؟ أمّا نحن يا هؤلاء معشر كل من ينتحل دين النصرانيّة فقد اتّفقنا على لزوم كتب العتيقة والحديثة والتصديق بها وانما جعل الفرقة بيننا ما قد اختلفنا فيه من معاني هذه الكتب. وهذا الأمر هو الذي أفرز كل فريقاً منّا في كنيسة وعلى حدة. وخرّم علينا أن يصلي بعضنا مع بعض. فلزم أحد أمرين أمّا أن نقول ان كلّنا مقبول عند المسيح إذ كنّا مقيمين على نسخ العتيقة والحديثة التي كتبها لنا روح القدس وان المسيح لا يحاسبنا على ما سقط عنه ظنّ أحدنا من معاني الكلام الذي في هذه الكتب. وأمّا أن نقول انه لا يقبل منّا التمسك بنسخ هذه الكتب دون السقوط على حقيقة معاني كلامها الذي إيّاه عنى روح القدس فيما لا يتّم الدين إلاّ به

فإن قال قائل ان المسيح يرضى منك بالتمسك بنسخ هذه الكتب دون المعرفة

بحقيقة معانيها فقد صيرَّ النصرانيَّة يهوديَّةً وجعل غايته باللفظ لا بالعقل وأمر النصارى أن يجتمعوا في كنيسة واحدة وصلاة واحدة في احتشادهم وان يتفرقوا في أرواحهم ووعظهم وان يعبدوا في ظاهرهم الإلهاً واحداً وفي باطنهم آلهة مختلفة وزينَ عندهم أن يتسموا باسم مسيح واحد في ألسنتهم ويتوهَّمون مسيحين كثيرين في قلوبهم. وهذه عبادة ليس يرضى بها المسيح حاشاً له كما قال: اني لست مدخلاً الحرب محلّ الدعة (١). فلا بد لكل نصراني ان كان على حقيقة ما ينتحل من أن يعبد المسيح والاب والروح بخالص المعنى الذي في كتب العتيقة والحديثة. والأ كان يهودياً لا يحتسب إلا أن يقول: أمّا ان الله تغير من حال وأمّا أن يكون آلهة كثيرة. لأنّه حيث يسمع من موسى (تث ٤ : ٢٤): «ان الله نار آكلة» فيكون مجوسياً لأنّه إنما يسقط ذهنه على النار التي تعبدها المجوس. وإذا سمع من دانيال النبي (٧ : ٩): «انه عتيق الأيام شعره كالصوف النقي» يتوهَّم الله شيخاً كبيراً. وإذا سمع من حزقيال (١ : ٢٧): انه من خصره إلى فوق نار وانه مثل اللازورد ومن خصره إلى أسفل نار» فانه يتوهَّم الله أمّا قد تغير ممّا كان فيه أو انّ هذا الإله غير الذي رأى دانيال وغير الذي ذكر موسى. وهذا اسمج ما يكون ان تضطرب هذه الثلاثة في عقل المؤمن. وإذا سمع المسيح يقول عن نفسه (يو ١٠ : ٩): «انه باب» توهَّم باباً وإذا سمعه يقول (يو ١٥ : ١): «انه كرمة» ظنه قد تغير أو ظنّ ان هذا مسيح غير ذاك وما شاكل هذا كثير. إذا لا محالة انه لا بد من أن يلزم معنى الكتاب على حقيقته فيما هو أصل الدين والأ فلا عبادة

فإذا كان هذا كذلك فليست الكنيسة التي يسكنها المسيح إلا واحدة من هذه الكنائس المختلفة التي كل واحدة منها تدّعي أنّها هي المقيمة على حقيقة النصرانيَّة

ولكن كيف يصنع السوقيون والاكّارون وكل الناس إلا القليل منهم إذ عقولهم لا تغوص على حقيقة هذه المعاني. والمسيح لا يقبل منهم غير هذه الحقيقة. أفيحسن أن نقول ان المسيح كلّفهم ما لا يطبقون؟ حاشاً له. والأ فقد صيرَّ هبوطه من السماء في

(١) ليس في الإنجيل آية على هذا اللفظ وانما يشير الكاتب إلى معنى أقوال الرب

شأنهم وسفكته دمه عنهم وبالأعلى عليهم وان كان يكلفهم هذا فهو لا يكلفهم ما لا يطيقون. ونحن نعلم أن أكثرهم الأبطالفة اليسيرة منهم لا تغوص عقولهم على ما قد كلفوا. فكيف بمعرفة السبيل التي تبلغه عقولهم إذا سلكوه وصلوا إلى حقيقة هذه المعاني. وهذا السبيل ليس أحد من الهراطيقيين يعرفه ولا يهتدي له وإليه بل ليس من الحياة للهرتيق الأكلام يجري في ظلمة به يتمكن من غرور الاغراء ويعوج شفتيه ويظن من يسمعه من الجهال انه خزانة الحكمة. ويقودهم بذلك إلى اتباعه إذا نطق بالكلام الذي يغمض عليهم. وهو أيضاً لا يعرف ذلك الكلام بل كما قال بولس (١ كور ١٤ : ٢ - ٦): «لا يدري ما يتكلم به ولا أي شيء يحقق». ولكن هذا السبيل الواضح هو عند الارثوذكسيّة وبه اهدوا إلى حياة الأبد. ونحن نعلم أن المسيح لم يكن يعطل هذا الأمر ولا كان يترك هذه العامّة بغير طريق واضح تعرفه عقولهم يؤديهم إلى حقيقة هذه المعاني التي يكلفهم إيّاها ولا سيّما إذ قد كان يعرف فهو والتلاميذ ان هذه الاراسيس ستكون وان الشيطان سيغربل الكنيسة بها حتى تحصل على قمحها الحق (لوقا ٢٢ : ٣١)

وأما هذا السبيل فقد أوضحه روح القدس على يدي موسى رأس الأنبياء في الناموس وذلك ان الله أنزل عليه الأحكام التي أمره أن يحكم بها على إسرائيل. وان موسى رمى بهذه الاحكام إلى قضاة ابحارهم فولّاهم أن يقضوا بين بني اسرائيل وجعل منهم رأس عشرة ورأس خمسين ورأس مائة ورأس ألف وامرهم أن ينفذوا الحكومة بين بني اسرائيل بالعدل. وقال لهم: انظروا ما وضع لكم من هذه الأحكام فأنفذوه على أخوتكم. ومهما غمض عليكم منها وشككتكم فيه فارفعوه إليّ حتى ارفعه إلى الله واتيكم فيه بالحق (تث ١ : ١٠ - ١٧). فكانوا يفعلون ما دام موسى بين اظهريهم

فلما أراد الله أن يتوفى موسى خلف الأردن علم موسى بروح القدس ان لو قد فقدة بنو إسرائيل وقعوا في اضطراب من الشك وتشئت أمرهم ووقع الصدع بينهم. فوضع لهم الناموس الثاني بروح القدس وترك لهم خلفاً منه لا يزول إلى الدهر. وقال لهم (تث ١٧ : ٨): «يا بني إسرائيل إذا تعدر عليكم شيء شككتكم فيه من القضاء بين الدم والدم وبين الحكومة والحكومة وبين النجسة والنجسة وبين التشاجر والتشاجر

فكان كلام اختلاف في مدائنكم فعليكم بالموضع الذي يختار الرب الهك ان يُدعى باسمه فيه. فافزع إلى هناك في تلك الأيام وائت الكهنة واللاويين والديان الذي يكون هناك في تلك الأيام فينظرون في ذلك وينبئونك بحقيقة الحكم فتتبع القضية التي يخبرونك بها من ذلك الموضع الذي يختار الرب الهك ان يُدعى باسمه فيه. وتحفظ جداً أن تنتهي إلى ما اشترعوه لك وتعمل بالناموس والقضية التي يقولون لك. ولا تحيدن عن الأمر الذي يوعزون به إليك يمينا ولا شمالاً. والإنسان الذي يتعظم ولا يسمع للكاهن الذي يخدم باسم الرب الهك أو القاضي الذي يكون هناك في تلك الأيام فليقتل ذلك الإنسان وابدوا العداة من بني إسرائيل لكي تسمع الامّة كلها فينكل ذلك بها وتنتهي عن العدوان»

ألا ترى ان موسى لم يجعل النظر في الأحكام التي يختلف فيها وفضلها إلى أحد من العامة ممن يدعي العلم أو ممن لا يدعيه بل أراه روح القدس فاسند ذلك إلى جمع الكهنة وإلى الديان الذي يكون في المكان الذي يختار الله ان يُدعى هناك باسمه. ولم يجعل لمن دون أولئك معهم نظراً البتة. ولكنه أمر العامة كائناً من كان ممن يرى أنه عالم وممن يرى أنه ليس بعالم أن ينتهوا عزيمة إلى القضاء الذي يخرج لهم من ذلك الجمع كان على أحدهم أو لهُ. وقضى بالموت على من نفخته العظمة ولم يذل قلبه لقبول ما قضا به عليه وظن أن رأيه أفضل من رأيهم. وإنما قضى موسى بالموت على من لا يقبل قضيتهم لأنه علم أن روح القدس إذ قد أسند أمر هذه الشكوك وهذا الاختلاف إليهم فهو يوفق عقولهم للصواب فيه لا محالة ولا يخذلهم كائنين في عقولهم وحالاتهم من كانوا ولا يدع أن يخرج منهم إلا الصواب

فان قال قائل ان روح القدس أمر العامة بطاعة هذا المجمع الذي في هذا الموضع في احكامهم الغامضة وزعم أنه يخذلهم ان يخرج منهم الباطل فقد صير صاحب هذا القول روح القدس هو الذي يضل الامّة. وقائل هذا القول هو الذي يجذب على روح القدس حقاً حيث يكون روح القدس شمس الهدى ومعدن النور يجعله هو سبب الضلال ولكن حاشا لله أن يكون الأمر كذلك. بل نحن واثقون مطمئنة قلوبنا ان روح القدس لا يترك هذا الجمع أن يخرج منه قضية إلا في موضعها

والحديثة المقدسة التي إنما كانت العتيقة صورة لها دبر فيها كذلك روح القدس كما

دبر في العتيقة وجعل كل ما اختلف فيه النصارى من الدين أن يُرفع إلى مجمع السليحين وجعل للسليحين رأساً واحداً يكون منتهى الاحكام العامية كلها إليه وإلى مجعته وان يقضوا فيها بما أراهم روح القدس. ومعرفته في البركسيس (ف ١٤ و ١٥) وذلك ان بولس وبرنابا انثخبا من روح القدس وهما بانطاكية أن يجولا في البلدان فيكرزا انجيل المسيح وانهما خرجا فانجزا ما أُفرزا له من ذلك ثم رجعا إلى انطاكية. فبينما هما هناك إذ نزل رجال من بيت المقدس إلى انطاكية وكانوا يعلمون الأخوة ويقولون لهم انكم ان لم تختنوا كسنة موسى لا تستطيعون أن تحيوا. وان بولس وبرنابا خالفاهم في ذلك وخاصماهم فيه. فاتفق القوم جميعاً أن يطلع بولس وبرنابا ونفر من أولئك إلى السليحيين والقسيسين بأورشليم في شأن هذا التشاجر. فلما وصلوا إلى أورشليم إذا ثم أناس كانوا من هوى الفريسيين كانوا قد تنصروا. فنهض هؤلاء فقالوا للسليحيين انه ينبغي أن تختنوا من آمن من الأمم وان تتقدموا إليهم في حفظ ناموس موسى. فاجتمع السليحيون عند ذلك والقسيسون لينظروا في هذا الأمر. وكانت هناك مباحثة كثيرة

ثم نهض بطرس وقال لهم: «أيها الرجال اخوتي قد علمتم ان الله في الأيام العادية إنما اختار أن يسمع الأمم كلمة الإنجيل من في وان يؤمنوا. والله الذي يعرف القلوب زكاهم وأعطاهم روح القدس كما أعطانا. ولم يجعل بيننا وبينهم فصلاً لأنه طهر قلوبهم. فانتم يا هؤلاء لم تخالفون الله فتضعون على أعناق التلاميذ النير الذي لم نطق نحن ولا آباؤنا أن نحتمله وإنما نوقن أن نحيا بنعمة ربنا يسوع كما يحيا أولئك

فأجاب يعقوب عند ذلك فقال: «أيها الرجال اسمعوا ان سمعان قد قضى عليكم كيف رضي الله أن يتخذ من الأمم أمّة لاسمه وهذا يوافق كلام الأنبياء كما هو مكتوب: اني من بعد ذلك أعود فابني مسكن داود المتهتك واجدد ما خرب منه وأقيمه لكي يبتغي سائر الناس وجه الرب. وكل الأمم الذين يدعى اسم الرب عليهم. قال الرب ذلك الفاعل ذلك فأنا أقضي الأيؤذي من يرجع إلى الله من الأمم. ولكن أرى أن يؤمروا باجتناج أدناس الأوثان والزنا والميتة والدم»

فأرى عند ذلك السليحيون والقسيسون مع جماعة الكنيسة واختاروا منهم رجلين بعثوها إلى انطاكية مع بولس وبرنابا وهما يهوذا الذي يقال له برسابا وساوان رجلين شريفين في الأخوة وكتبوا وكتبوا معهما بهذا: «من السليحيين والقسيسين والأخوة إلى الكنيسة

التي بانطاكية وسوريًا والاخوة الذين هم من الأمم افرحوا. قد بلغنا ان أناساً منّا خرجوا فعكروكم بالكلام وقلبوا نفوسكم وقالوا انه ينبغي لكم أن تختتنوا وان تحفظوا ناموس موسى ما لم نأمرهم به. فرأينا عامّةً أن نختار رجلين ونسرحهما إليكم مع اخينا برنابا وبولس اللذين بذلا أنفسهما للمسيح فبعثنا يهوذا وسلوان وتقدّمنا إليهما أن يوصلا كلامنا من أفواههما. ألا فقد رأى الروح القدس ورأينا ألاّ يوضع عليكم ثقل فوق ما لا بدّ منه أن تجتنبوا ضحايا الأوثان والدم والميتة والزنا. فإذا انتهيتم عن ذلك فنعم ما تصنعون». ثم ان يهوذا وساول ودعا الجماعة ونزلا إلى أنطاكية وجمعا الكنيسة وأعطياهم الصحيفة فلمّا قرأوا الصحيفة فرحوا بالعزاء الذي ورد عليهم. وكان يهوذا وساول نبيّين فعزياً الأخوة بكلام كثير وثبّتناهم

ألا ترى ان الذين نزلوا إلى انطاكية يأمرّون بالختان وحفظ الناموس إنما كانوا من جماعة الأخوة الذين كانوا بأورشليم. وبولس وبرنابا اللذين خالفا هؤلاء قد كانا من عليّة السليحيين فحيث تشاجر الفريقان بانطاكية فيما اختلفوا فيه لم تقبل الكنيسة لا من بولس وبرنابا ولا من أولئك. ولكنهم ارتفعوا كلهم إلى مجمع السليحيين الذي كان فيه مار بطرس رئيساً وأماماً. فحيث توافى مجمع السليحيين ونظروا في الأمر قضاوا بما رأوا ونسبوا قضيتهم إلى روح القدس. وقالوا انه رأى روح القدس ورأينا. الا ترى ان هذا المجمع الذي فوّض إليه المسيح النظر في أمور الاراسيس لا يرى الا ما يرى روح القدس وانه واجب أن يُرفع كلُّ ما يُختلف فيه من أمور الدين إلى هذا المجمع. وليس لأحدٍ كائناً من كان كبيراً ولا صغيراً أن يتفرد برأيه دون هذا المجمع وأن يوعز إلى الكنيسة أن تقبل منه وحده. فلعمري لهذا لم تقبل الكنيسة من مار بولس وبرنابا اللذين كانا شمس العالم دون الجماعة. فليس لأحدٍ أسقفاً كان أبو بطركاً أو غيره أن يقول للكنيسة: «أنا إقبلي مني ما أقول دون جميع السليحيين»

واعلم ان السليحيين راسهم مار بطرس الذي قال له المسيح (متى ١٦ : ١٨) : (١) «أنت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيسة وأبواب الجحيم لا تغلبها». وقال له أيضاً ثلث مرار بعد قيامته على بحر طبرية (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) : «يا سمعان أتحنني ارفع خرافي وكباشي ونعاجي». وقال له في موضع آخر (لو ٢٢ : ٣١) : «يا سمعان ان الشيطان

(١) ان كل ما يقواه هنا أبو قرة عن رئاسة القديس بطرس وخلفائه لحريّ بالاعتبار

يسأل أن يغربلكم كالقمح وأنا طلبت فيك إلا تخسر إيمانك. ولكن أنت في الحين اعطف على أخوتك وثبتتهم. ألا ترى ان مار بطرس هو أساس الكنيسة المخصوص بالرعية ومن آمن إيمانه أبداً لا يخسر إيمانه. وهو المأمور ان يعطف على أخوته ويثبتهم

وقول المسيح «اني طلبت لأجلك إلا تخسر إيمانك ولكن أعطف على أخوتك في الحين وثبتتهم» لا نرى إنما عنى به مار بطرس نفسه والسليحيين بأعيانهم بل إنما عنى بذلك ولاة مرتبة مار بطرس التي هي رومية وولاة مراتب السليحيين. وكما أنه قال للسليحيين «اني معكم الأيام كلها إلى آخر الدهر» ولم يعن بهذا القول السليحيين بأعيانهم فقط بل عنى أيضاً أصحاب مراتبهم ورعيته. وكذلك القول الآخر الذي قاله لمار بطرس «ان أعطف في الحين وثبت أخوتك وأنه لا يخسر إيمانك» إنما عنى بذلك ولاة مرتبته. والدليل على ذلك ان مار بطرس نفسه هو الذي خسر إيمانه من بين السليحيين وكفر بالمسيح. ولعل المسيح إنما خذله لهذا ليحقق عندنا أنه ليس إياه عنى بذلك القول. ولم ترَ أحداً من السليحيين وقع ولا احتاج أحد إلى مار بطرس ان يثبته

فان قال قائل انه إنما عنى المسيح بهذا القول مار بطرس نفسه والسليحيين بأعيانهم فقد جعل الكنيسة لا مثبت لها بعد موت مار بطرس. وكيف يكون هذا ونحن نرى الغرلة كلها إنما كانت من الشيطان للكنيسة بعد موت السليحيين. وهذا يدل على أنه ليس إياهم عنى المسيح بهذا القول. فلعمري ان كل واحد ليعلم ان الاراثيين إنما ثاروا في الكنيسة بعد موت السليحيين بولس السميساطي واريوس ومقدانيوس واوانامبيوس وسباليس وابليباريوس واورجنوس وغيرهم. ولو كان هذا القول الذي في الإنجيل إنما عنى به مار بطرس والسليحيين بأعيانهم إذ قد كانت الكنيسة بعدهم معطلة من العزاء ولا كان أحد ينقذها من هؤلاء الاراثيين الذين اراسيسهم حقاً هي أبواب الجحيم التي قال المسيح انها لا تغلب الكنيسة (متى ١٦ : ١٨). إذ لا محالة ان هذا القول إنما عنى به ولاة مرتبة مار بطرس الذين لم يزالوا يثبتون اخوتهم ولن يزالون ما بقي الدهر

أوما تعلمون ان آريوس حيث خرج إنما اجتمع الجمع عليه بأمر أسقف رومية فطرحه المجمع القديس وابطل اراسيسه وقبلت الكنيسة هذا المجمع ودفعت اريوس كما قبلت كنيسة انطاكية إذ ذاك صحيفة السليحيين ورمحت هؤلاء الاراثيين الذين

كانوا يعلمونها أن تختتن وتقبل الناموس . وحيث خرج مقدانيوس وقال في روح القدس ما قال: كذلك اجتمع عليه جمع بالقسطنطينية بأمر أسقف رومية فطرحه المجمع القديس وقبلت الكنيسة ذلك المجمع كما قبلت المجمع الأول وأقصت مقدانيوس كما أقصت آريوس وتعلمت من هذين المجمعين أن تقول ان الابن والروح من جوهر الاب . وان كل واحد منهما له لم يزل مع الاب ومن الاب . وقبلت الكنيسة هذين المجمعين على مثل ما قبلت كنيسة انطاكية إذ ذاك مجمع السليحيين . وكما لم يكن لكنيسة انطاكية نظر مع رأي السليحيين كذلك لم يكن لأحد نظر مع رأي هذين المجمعين . وكما أن ما كتب به السليحيون إذ ذاك إلى كنيسة انطاكية إنما كان رأي روح القدس كذلك لا تشك الكنيسة ان رأي هذين المجمعين هو رأي روح القدس . وكما لم تقبل كنيسة انطاكية إذ ذاك لا من بولس ويرنابا ولا من الآخرين حتى رفعتهم إلى مجمع السليحيين فتوقعت رأي ذلك المجمع فلما اتاها تعزّت به كذلك لم تقبل الكنيسة لا من اريوس ومقدانيوس ولا ممن كان يخاصمهم في زمانهم من الآباء القديسين حتى رفعت ذلك إلى المجمع المقدس فتوقعت رأيه . فلما اتاها قبلته فتعزّت به وسرّت

وحيث خرج نسطوربوس فقال في المسيح ما قال وأنكرت الكنيسة قوله رفعته إلى المجمع المقدس كعادتها . فاجتمع بأفسس جمع عليه بأمر اسقف رومية فطرحه المجمع المقدس وأبطل قوله . وقبلت الكنيسة المقدسة ذلك المجمع ونفت نسطوربوس وجحدت قوله وعلمت أنه ليس لها نظر مع ذلك المجمع بل قد فرض عليها من الروح القدس ان تتبعه على نحو ما بيّنّا

فأنت أيها النسطوري اعلم انك في خطأ وانك زللت عن الصخرة التي بنيت عليها الكنيسة ونُفيت من المسيح وبرئت من سكانته إذ لم تقبل رأي المجمع المقدس الذي فرض روح القدس قبوله وهو رأي روح القدس . والعجب منك انك اتبعت نسطوربوس وانت لم تؤمر باتباعه وفضّلته على مار بولس ويرنابا جميعاً حيث ترى الكنيسة لم تقبل هذين وهما نور البشر فقبلت أنت نسطوربوس وتركت المجمع المقدس الذي اتباعه لازم لك واتخذت لنفسك سنداً واهياً ووثقت بعقل انسي وتركت توفيق روح القدس . واعلم أنه لا عذر لك حيث قبلت رأي المجمعين الأولين مسترسلاً إليهما بلا تفتيش كما أمرك روح القدس ونبت نفسك عن هذا الثالث الذي قد أمرت من روح القدس

بقبوله كما أمرت بقبول ذينك واشركت عقلك مع رأيه ولم تطمئن إلى روح القدس الموفق له والناطق به. وان انت تجنيت العلل على هذا المجمع فاعلم ان اربوس وأصحابه يتجنون على المجمع الأول ويلحقون به العيوب بجهدهم. ومقدانيوس وأصحابه يتجنون على المجمع الثاني ويعيبونه ولا يباليون. وكما أنه ليس لهما ولا عندك عذر في تجنيهم على هذين المجمعين كذلك يلزمك أن تعلم أنه لا عذر لك عند المسيح في تجنيك على هذا المجمع الثالث

وحيث خرج اوطيخيوس وديسقوروس وقالوا في المسيح ما قالوا فانكرت الكنيسة قولهما فنهض من الآباء القديسين من يخاصهما فلم تقبل الكنيسة لا منهما ولا ممن يخاصهما ولكنها رفعتها إلى المجمع المقدس كعادتها. فاجتمع عليهما المجمع الرابع بخلكيديونية بأمر أسقف رومية فطرحهما وأبطل قولهما فقبلت الكنيسة قول هذا المجمع كما قبلت الثلاثة المجمع واقصت اوطيخيوس وديسقوروس ولفظت قولهما. وعلمت أنه ليس لها نظر مع هذا المجمع وأيقنت أن الرأي الذي خرج منه هو رأي روح القدس لا محالة

وأنت يا يعقوبي ما بالك قبلت الثلاثة المجمع مسترسلاً إليها من غير أن تجعل لنفسك نظراً مع رأيهم ولم تقبل هذا المجمع الرابع؟ ولكنك آثرت عليه اوطيخيوس وديسقوروس وتركت أن تعتمد على عمود الحق الذي جعله لك روح القدس واعتمدت على قصبه مرضوضة وامكنت من لحمك أن يشرح ويسيل دم نفسك وتموت موتاً روحانياً لجاجة في اتباع من لم يفترض اتباعه بل قد نهيت عنه كما نهيت عن الحية التي صارت أداة الطغيان. ثم لم تزل تنتقل من رأي رجل إلى رأي غيره يغيرون دينك ويمسخونه حتى استوجبت أن تسمى كثير الرؤوس ومن لا راس له (١) واشبهت حجراً يزول عن الأساس فهو لا يزال يتدحرج حتى يهبط إلى أسفل السافلين. كذلك دحرجك اوطيخيوس وديسقوروس وثيادسيوس وسواربوس ويعقوب وغيرهم (٢) وادخل عليك كل واحد منهم في دينك الغش الذي وافق رأيه وخالف كل واحد منهم صاحبه وخالف الحق

(١) اشارة إلى شيعة منهم دُعيت «acéphales» أي من لا رأس لهم

(٢) كل من هؤلاء زعيم لشعبة خاصة من أصحاب الطبيعة الواحدة نسبت إليه وعرفت باسمه تختلف كل واحدة منها عن الأخرى وتخالف كلها تعليم الكنيسة في شأن اتحاد المسيح ولم يزل إلى اليوم هذا الاختلاف بين هذه الشيع باقياً عند البعاقبة السريان والأقباط والارمن من غير الكاثوليك

فإن تجنّيت على هذا المجمع المقدّس فلا ترى أنك سبقت من قصب (١) المجمع المقدّسة إلى ما قد تخلف عنه من كان قبلك. فلعمري ان اربوس ومقدانيوس ونسطوريوس وأصحابهم ليقصب كل فريق منهم المجمع الذي طرحه قصباً لا يترك فيه جهداً. ولست تقول في هذا المجمع الرابع إلا دون ما يقول كل واحد من أولئك في المجمع الذي أفضاه. فان حسنت لأولئك مذمة المجمع المقدسة الماضية قبل هذا المجمع فالحق برأيهم وقُل بقولهم واخلع عنقك من نير روح القدس جهاراً. وان كنت تعيب على هؤلاء تجنّيتهم على تلك المجمع المقدسة وتقضي عليهم بالضلالة في مخالفتهم اياها فعِبْ على نفسك تجنّيتك على هذا المجمع الرابع المقدس واقض على نفسك بالضللال في مخالفتك اياه

أمّا المجمع الخامس فليس أحد يحامي عن الاراسيس التي حرمها حتى نحاوره بمثل ما حاورنا به أصحابه ونلحق به مثل ما ألحقنا بهم

ثم خرج مقاريوس وقورش وسرجيوس وقالوا أيضاً في المسيح ما قالوا. فأنكرت الكنيسة قولهم وبارزهم ناس من الآباء يجادلونهم ويردعون قولهم. فلم تقبل الكنيسة منهم قبولاً صارماً لا منهم ولا ممن كان يجادلهم بل رفعتهم كعادتها إلى المجمع. فاجتمع المجمع السادس المقدس بالقسطنطينية بأمر أسقف رومية (٢) فطرحهم وابطل قولهم فقبلت الكنيسة المقدسة هذا المجمع كما قبلت المجمع التي كانت قبله وهجرت مقاريوس وأصحابه وبصقت قولهم

فما بالك يا (منوثلي) قبلت المجمع الأوّل والثاني والثالث مسترسلاً منبسطاً ولم تر ان لك مع رأيهم رأياً كما أمرك روح القدس. فلماً بلغت المجمع السادس كأنك قد نسيت تعليم روح القدس وسكرت سكرأ لم تصح بعده فاقبلت على آباءك الذين يستحقون منك الكرامة وقد أمرت من روح القدس أن تقيم على حدّهم وجعلت تشتمهم كالكلب الكلب وتزبل حدّهم وهتكت السياج الذي كان يحفظك من الشيطان فخرجت تمكّن من نفسك الذئاب. فهذا منك تفريط يؤدبك إلى الهلاك. فان تجنّيت على هذا المجمع المقدس فاعلم انه قد سبقك من كان قبلك من الاراسيس

(١) يُقال قصبه إذا عابه ولامه

(٢) ترى ان أبا قرة يذكر دائماً رئاسة الأبحار الرومانيين على المجمع كما يقول الكاثوليك

إلى تجنّي كل فريق منهم على المجمع الذي طرحه ولم يشنه شيء عن أن يلحق به كلّ ما أدبّ الشيطان في قلبه. فان كنت تعيب على أولئك تجنيهم على تلك المجمع فعاجل نفسك بالعيب في تجنيك على هذا المجمع السادس وارتدّ عن تيهك وادخل في رشدك. وان كنت لا تعيب على أولئك قصبهم تلك المجمع المقدسة فاخلع العذار من رأسك أصلاً والحق بأصحابك وقُل بقول كلّ اراسيس كانت منذ ذلك

ولكن ما عسى أن يبلغ من تجنيكم يا معشر الهراطقيين عامة على هذه المجمع. إنما ينقم أحدكم على هذه المجمع المقدسة لأحد ثلاثة أشياء: أمّا أن يقول ان المجمع الذي ينقم عليه بئس ما قضى به من جهل أو جور. وأمّا أن يقول ان هذا المجمع إنّما جمعه أحد الملوك فلذلك ينبغي ألاّ يقبل. وأمّا أن يقول ان المجمع الذي كان قبل هذا المجمع الذي ينقم عليه كان قد جزم الأيّاد على ما قد وُضع ولا يُقص منه فلذلك لا ينبغي أن يقبل هذا المجمع الذي بعده

فإن قال أحدكم في هذه المجمع انه بئس ما قضى به من قبل جهل أو جور فقد ادخل قائل هذا القول رأيه فيما لم يجعل إليه روح القدس أن ينظر فيه ولا إلى غيره. وتداخلته العظمة ومنعته من أن يذلّ لقضية المجمع. واستوجب الموت الروحاني لا محالة كما تسمعون ناموس موسى المقدس لا يأذن لأحد من الناس أن يكون له نظر مع المجمع أو أن يستبدّ برأي نفسه دون قضية المجمع. والأفقد لحقه القتل عزيمة لا محيص له منه

وان قلت يا هرطيق في المجمع الذي تنقم عليه انه إنّما جمعه الملوك فلذلك لا ينبغي أن يقبل من ذكر المجمعين الأولين حيث كل مجمع يقبله أحد ممن ينتحل النصرانية اليوم انه إنّما جمع كلّ واحد منها ملك من الملوك. وقد يعرف هذا كل أحد ان مجمع نيقية إنّما جمعه قسطنطين الملك الكبير. والمجمع الثاني جمعه بالقسطنطينية ثاودوسيوس الملك الكبير. والمجمع الثالث جمعه بافسس ثاودوسيوس الملك الصغير. والمجمع الرابع جمعه بخلكيدونية مرقيانوس الملك. والمجمع الخامس جمعه بالقسطنطينية قسطنطين الملك ابن هرقل. فأنت يا (منوثلي) ان نعمت على المجمع الخامس والسادس بأن الملوك جمعها وقد استحقاً ألاّ يقبلوا لأنّ الملوك قهرت فيهما الناس ولهما ببئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الرابع

والمجامع التي قبله. لأن كل واحد من المجامع إنما جمعه ملك كما قد بيّنا. وكل هرطيق طرح في أحد هذه المجامع قد يعتل مثل علّتك ويقول ان الملك الذي جمع ذلك المجمع هو الذي قهر الناس أن يطرحوه ويقهره اجتمع ذلك المجمع عليه. فان أجزت لنفسك إلا تنفى من قضية هذين المجمعين لأن الملوك جمعتهما فأجز لليعقوبيين والنسطوريين ولمقدانيوس واريوس وأصحابهم انتفاء كل فريق منهم من قضية المجمع الذي طرحه لأنه إنما جمعه ملك. وان كنت لا تجيز لأولئك أن ينتفوا من قضايا تلك المجامع لجميع الملك إياها فلا تجيز لنفسك الانتفاء من قضية هذين المجمعين لجمع الملوك إياهما

وأنت يا يعقوبي ان نقت على المجمع الرابع الذي طرحه بأن الملك جمعه ولذلك يستحق أن لا تقبل قضيته لأن الملك كلّف الناس فيه وله. فبئس ما صنعت حيث قبلت المجمع الثالث والمجمعين اللذين كانا قبله إذ كان جمع كل واحد منهما ملك من الملوك. وأوسع نسطوريوس ومقدانيوس واريوس عذراً حيث لم يقبل كل واحد منهم القضية التي جرت عليه من المجمع الذي طرحه. فقد يعتل كل واحد من أولئك بمثل علّتك ويقول ان الملك قهر المجمع الذي طرحه أن يجتمع عليه وقهر الناس أن يقبلوا قضية ذلك المجمع. فان أجزت لنفسك دفع قضية هذا المجمع الرابع لجمع الملك إياه فأجز لكل واحد من أولئك دفع قضية المجمع الذي طرحه. وان كنت لا تجيز لكل واحد من أولئك دفع قضية المجمع الذي طرحه فلا تجيز لنفسك دفع قضية ذلك المجمع الرابع ولا تكن ظالماً عادياً أو مجنوناً

وأنت يا نسطوري كذلك نبدي عليك هذه الحجّة كما قد لزمث اليعقوبيين (والموثليين) فليس لك أن تنقم على المجمع الذي طرحه لجمع الملك إياه وتدفع لذلك قضيته إلا فقد أوسعت مقدانيوس واريوس عذراً بدفع كل واحد منهما قضية المجمع الذي طرحه فقد لعمرى يعتلون بمثل علّتك. وان أنت فعلت هذا فقد هدمت كل ما تؤمن به ممّا قبلته من ذينك المجمعين. وهذا سبيل ليس يوصل به إلى عيب أحد من تلك المجامع بل ينبغي للكنيسة أن تحمد المسيح حيث ذلّل الملوك لها أن يخدموا اباها ومعلميها لأن كل ملك اجتمع مجمع من هذه المجامع في زمانه إنما كان من أبر الجميع إذ كان يرفده بضيفانه ويكفّ الشعب فيه لتمكين الآباء من النظر في الدين على هدوء ودعة وتنفيذ قضيته. فأمّا الملك فإنه لم يكن إليه من النظر في أمر الدين ولا

من إءباء القضافة فف شفاء . وإنما كان ءاءماً للآباء سامعاً لهم مطفعاً قابلاً لكل ما قضاوا به فف أمر الءفن من ءفر أن فشرءهم فف شفاء من النظر . وان أءء منكم فا معشر الاراتفة الءفن ففءلون ءفن النصرانفة الفوم عاب معونة الملوك لهذه المءامع وءضورهم إفاها فقد أبطل من قبله كل ما فف أفا ء النصراف وأعادنا إلى أن ففمسك بنسء كءب العففة والءءفة . فلا فبالف أءءنا ان قال مثل آربوس أن الابن مخلوق أو ان قال مثل مقءانفوس ان روح القدس مخلوق وان قال مثلما قال وءلم ءائط الكنفسة الءافظ للرعفة من كل ءنب ءاطف طرد منها وافسء الءفن كله وصفر النصرانفة ففوءفة

وان قلت فا هرطفء كائناً من كنت من الهراطفة فف المءمع الءف طرءك «ان المءمع الءف كان قبله ءءم ألاً ففراء ولا ففقص ممأ وءع هو وكذلك لا ففبءف لهذا المءمع الءف كان بعءه أن ففبل» . فاعلم انك فقول ما لا فعقله ولا فءرف ما فاائفه . لأن قضافة كل مءمع من هذه المءامع المقءسة إنما هف ءواء ففففه روح القدس فءفع به عن ءسء الكنفسة ءاء فلك الاراسفس الفف ءرمها ءلك المءمع . وءفء فقول ءلك المءمع أنه ففس لأءء أن ففزف على ما قء وءع ولا ففقص منه إنما فعنف ففس لأءء أن ففقق علفنا ولا ففءل ءءاء هذه الاراسفس الفف ءرمناها ءواء ءفر هذا الءف هفئناه بروء القدس . لأن روح القدس لا ففقق على نفسه ففلس فقول هذا المءمع للكنفسة ان هاء ففها مرض اراسفس أءرف بعء فلك الاراسفس الفف هو طرءها ففلس للآباء الءفن هم اطباءها أن فءءمعوا وفضصوا عنها ءلك المرض كما أفصفا هو المرض الءف هاء فف زمانه . ولو فعل ءلك المءمع وءاشا له لكان قء ءلى الكنفسة أن فسءءكم علفها مرض كل اراسفس فءءء من بعءه ومنع الآباء من ءءاراتها . وهذا ءلاف روح القدس الءف ءعل هذه المءامع عوضاً عن السلفففن لا فزول إلى الءهر كما قء ءعل موسى فلك المءامع الفف أمر بطاعءها ءلفاً منه لا فزول فف كل ما ءءء من الاءءلاف من أهل الناموس

وان كنت فا هرطفء فلفء فقول «ان المءمع الءف فقبله إنما ءرم ألاً ففراء على قضافته ولا ففقص منها ملءمساً ألاً ففكون بعءه مءمع آءر» فقء ءان لك أن فبطل المءامع كلها الأؤل منها والآخر . لأن ما بولس قء قال للكنفسة انه ان آءاها هو نفسه أو ملاك

من السماء يعلمها غير ما علمها فهو محروم. وقد اتسع من هذا القول بقدر قولك يا هرطيق لآريوس أن يقول لمجمع نيقية: اني لست أقبل تعليمك لأن مار بولس قد حرم ألا يعلم أحد الكنيسة غير ما قد علمها هو. ولمقدانيوس أن يقول للمجمع الثاني أني لا أقبل منكم تعليمكم لأن مار بولس قد حرم ألا يعلم أحد الكنيسة غير ما قد علمه هو وان المجمع الذي كان قبلكم قد حرم أيضاً مثل ذلك لا يزداد على قضيته ولا ينقص منها. وان حسن هذا عندك يا هرطيق فقد رددتنا إلى أن نتمسك بنسخ كتب العتيقة والحديثة ولا يبالي أحدنا أن يقول كما قال اريوس ان الابن مخلوق. ولا يضرُّه أن يقول كما قال مقدانيوس ان روح القدس مخلوق. ولا يعاب على أحد أن يقول بقول من أحب من الهراطقيين. وقد صيرت من قبلك النصرانية يهودية كما قد قلنا بدءاً

ولكن ليس الأمر على ما تذكرن يا معشر الهراطقة وبئسما فهمتم قول الآباء بل إنما تشبه الكنيسة المقدسة ابن الملك وتشبه الآباء أطباء قد وكلهم الملك بابنه أن يحفظوا جسده وأن يدفعوا عنه كل داءٍ وسقمٍ. وتشبه الاراسيس الأمراض والأسقام. وهؤلاء الأطباء الموكلون بهذا الجسد ليس يخطأ أحدهم البتة ان نظر جسد ابن هذا الملك قد اعتراه مرض فدفع المرض عن جسده بدواءٍ هيأةً له ثم قال: انه ليس لأحد سلطان أن يغير شيئاً من هذا الدواء الذي هيأته أنا. فنقول ان هذا الطبيب إنما يريد به ان ليس بمأذون لأحد أن يعالج ذلك المرض الذي هيأ له ذلك الدواء بغير ذلك الدواء الذي عالجه به هو. وليس يقول هذا الطبيب لمن بعده من الأطباء: «انه ان عرض لجسد ابن الملك مرض آخر بعد هذا المرض فليس لكم سلطان أن تعالجوه» والأفقد أسلم ابن الملك للتهلكة وصار غاشياً للملك عدواً له

كذلك كل مجمع من هذه المجامع المقدسة إنما هيأ دواء الاراسيس التي ثارت في زمانه واعلم الناس ان دواءً بالغ ملائم لمرض تلك الاراسيس. وانه ليس لأحد سلطان أن يعالج تلك الاراسيس ويقاتها بخلاف ما قد عالجه به هو وقتاتها. ولم يأمر أطباء الروح الذين بعده ان ثارت اراسيس في زمانهم ألا يهيئوا لها دواء يدفعونها به والأفكان غاشياً للمسيح وعدواً له. وحاشا لمجمع يجمعه روح القدس أن يكون كذلك. وبئسما فهمتم يا معشر الارطقة قول الآباء. ولقد سخر بكم الشيطان عدو ذرية آدم فزین لكم أن تجدّفوا على روح القدس بمذمتكم قضايا المجمع التي هي قضايا روح

القدس كما قد أخبرتكم ان السليحيين انفسهم قالوا حيث اخرجوا القضية على الهرايسيس التي ثارت في زمانهم انه رأي روح القدس ورأينا. واعلموا الناس كلهم ان رأيهم رأي روح القدس. فمن جدف على قضية أحد المجامع فانه إنما يجدف على روح القدس

ولعلك تقول يا هرطيق ان هذا المجمع الذي طرحك قد نقض على المجمع الذي كان قبله ذا ذهب الإنسان أن يفتش معاني كلامه. فلذلك زعمت قد تعلم انه ليس من روح القدس لأن روح القدس لا ينقض على نفسه. فنقول لك يا هرطيق انك غليظ العقل وليس يضيء لك روح القدس لاعوجاج نيتك. لذلك تظن أن هذا المجمع الذي طردك من الكنيسة قد نقض على الذي قبله. ولكن ليس لك أن تشرك نظرك مع نظر المجمع ان كنت تعقل ما قد أمرك روح القدس في الناموس على يد موسى رأس الأنبياء. بل عليك أن تقبل قضية المجمع عزيمةً والألحقتك الموت الروحاني. وروح القدس لم يخذل مجمع الرسل أن يخرج منه الخطأ في أحد الوجوه إذ قد أسند النظر فيما يختلف فيه من أمر الدين إليه كما قد أوضحنا لك مراراً. والألحقتك روح القدس الذي فرض على الناس أن يطيعوه هو الذي يقود الناس إلى الضلالة التي تخرج لهم منه وحاشا لروح القدس أن يفعل ذلك. فان أجزت لنفسك يا هرطيق ان تنظر في قضية المجمع الذي طرحك وتفتش قوله وتقول انه قد خالف المجمع الذي كان قبله فسوء لآريوس أن ينظر في قضية مجمع نيقية الذي طرحه ويقول ان قولهم خلاف لما في إنجيل السليحيين. وأجز لمقدانيوس أن ينظر في قضية المجمع الثاني الذي طرحه ويقول ان قولهم خلاف قضية المجمع الأول. ولكن اظنك لست تفعل هذا إذ تشرك نظرك مع قضية المجمع الذي طرحك

فمن حيث قلتهم الكلام يا معشر الهراطقيين عامة فليس بمأذون لكم من روح القدس ولا لغيركم أن تتجنوا بالعلل على هذه المجامع المقدسة أو تخالفوا قضيتها بأحد الأسباب. والألحقتك أمر روح القدس على يدي موسى رأس الأنبياء أن يقتل كل من لا يقبل قضية المجمع فقد كان لعمرى الفسحة لكل واحد من الناس إذا خرجت عليه قضية من المجمع أن يتجنى على ذلك المجمع. ولا يستطيع أن يرفض قضيتها بسبب ذلك التجني ويسلم من الموت. ولكن لم يخل روح القدس أحداً زاهداً بل ألزم الموت عزيمةً كل من خالف قضية المجمع كائناً من كان. ولم يجعل في ذلك استثناءً ولم يمكن لأحد

منه فرجة يحمي إليها عن الموت في التجني على المجمع أو غير ذلك من الأسباب. كذلك يلزمكم يا كافة الهراطقة عامةً فاعلموا ذلك. وكل من خالف هذه المجمع المقدسة فان الموت الروحاني ويعطل قلوبكم من سكانه روح القدس فانظروا من الذي يسكنكم

واعملوا كلكم أيها المخالفون لروح القدس ان من كان منكم لا يدعي علماً فقد وضع له طريق الرشد. ولا عذر له في ترك المجمع المقدسة التي أفضى عقله إلى المعرفة بأنه يجب عليه اتباعها لا محالة. وليس شيء يحبس أحدكم عن أن يغرب عن ملكوت الله ويخرج مأسوراً عن عرس المسيح ان لم يتبع هذه المجمع المقدسة. وأما من يدعي منكم العلم فإنه إنما يشبه أبحار اليهود والفريسيين الذي صرفوا مسامعهم عن تعليم روح القدس وغرقوا لهم من خثرة عكر عقولهم فاسكرهم سكرًا اختلجهم عن قبول المسيح الذي إليه كان الناموس يسوقهم وزينوا لهم الافتراء عليه. كذلك انتم غررتم هؤلاء المساكين فصرفتم قلوبهم عن طاعة روح القدس الذي ينطق على أفواه المجمع المقدسة. وغررتم لهم من فضاضة عقولكم وظلمة أذهانكم وما تلتسونه بعمى قلوبكم وحملتوهم أن يجدفوا على روح القدس قاتلكم الله كيف هلكتم واهلكتم. أوهقتهم من أتبعكم إلى قعر الجحيم واهق الشيطان كلكم واستصحبكم إلى نار جهنم المعدة له ولملائكته. وصرت لهم في هلاكه انساً وعزاءً

فهل يريد الإنسان منكم أن يعتزل ناحية ويقوم المجمع ناحية أخرى فينادي أحدكم الناس ويقول: ألا أيها الناس عامة اتهموا هذا المجمع وصدقوني فاني أعلم وانصح لكم من هذا المجمع. فكيف استحققت ويحك أن تكون قد فزت بالحكمة الروحانية بل بالعمى الشيطاني دون الناس كلهم وصرت انظر الناس للناس بل اغشهم لنفسك ولهم. وقد كان ينبغي لروح القدس لو كنت كما قد تظن بنفسك بجهلك أن يدل الناس عليك قديماً حتى يعرفوا موضعك ويصفك لهم في كتبه المقدسة كما قد وصف هذا المجمع الذي ذكرنا ويجعل لك في الكتب المقدسة علامات يومئ إليك بها كما قد أوماً إلى هذا المجمع المقدس ويجهد الناس على اتباعك كما أجهدهم على اتباع المجمع ولكن ليس ذلك أعجب أيها الأعمى الذي لست تدري ما تقول وماذا تحقق كما قال مار بولس على مثلك. وقد استحكم الجهل فيك واكتنفتك التيه من كل ناحية ولا

تحس بذلك غلظاً وبلاهة. ولكن العجب من هؤلاء الأشقياء الذين يتركون المجامع المقدسة أن ينقادوا لها كما أمرهم روح القدس وقد أمكنوك من ألسانهم أن تقودهم كالأعمى الذي قال ربنا في الإنجيل: ان أعمى يقود أعمى وكلاهما في الهوتة يسقطان. واكثروا أن يتخذوا لأنفسهم معلم الضلالة مثلك وبدغدغة مسامعهم كما قال مار بولس (٢ تيم ٤: ٣). فأمّا نحن معشر الارثوذكسيّة وأبناء الكنيسة المقدسة فإننا نمجد ونشكر المسيح الهنا الذي أعطانا الحزم وطاعة المجامع المقدّسة التي نطق على لسانها روح القدس فصرنا إلى محلته وآوينا إلى صير غنمه وسلمنا بحفظه من الشيطان الذئب الخاطف الذي يرصد أنفسنا أن يعترض من أحدنا شرود عن الكنيسة فيأخذهُ فريسة له وصيداً. فنسأل ربنا والهنا يسوع المسيح أن يثبّتنا على صخرة كنيسته المقدسة أبداً ويسقينا من كاس تعليمها حتى نسكر بحبه سكرًا يملأ عقولنا وييسط قلوبنا لطاعته وحفظ وصاياه التي بها نحيا ونرث ملكوت السموات المعدة لكل من كان مبنياً على أساس مار بطرس الذي من روح القدس. فيا روح القدس ألهمنا معرفة المسيح الابن الأزلي الإله ابن الإله الذي تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء في شأن خلاصنا له المجد والجلال والعزّ والكرامة مع الاب والروح القدس الآن ودائماً وإلى دهر الدهرين

آمين

